مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(كولوسي ٣: ٤–١١)

يا إخوةُ متى ظهر المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معه في المجد* فأَمِيتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزِنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَنٍ* لأنَّه لأجلِ هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِه* حيثُ ليسَ يونانيٌّ

أحد الأجداد

مع اقترابنا من عيد ميلاد ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد تضع لنا الكنيسة المقدّسة في طريقنا إلى استقبال مجيء ربّنا في الجسد، محطّة لتنبّهنا إلى حقيقة ما نحن ننتظره. ففي الأحد الذي يسبق الأحد قبل عيد الميلاد تقيم الكنيسة المقدّسة تذكاراً جامعاً لجميع الذين أرضوا الله من آدم حتى يوسف خطيب مريم والدة الإله، الذين ذكرهم الإنجيلي لوقا في نَسَب الرب يسوع (لو ٣: ٢٣–٣٨)، بالإضافة إلى جميع الأنبياء، ونقرأ في هذا الأحد مَثَل العشاء الوارد أيضاً في إنجيل لوقا (١٤: ١٦–٢٤)، كما نقرأ فصلاً من رسالة القديس بولس إلى أهل كولوسي (٣: ٤–١١).

تمثّل الدعوة إلى العشاء، الواردة في إنجيل لوقا على لسان الربّ يسوع، الدعوة إلى المشاركة في ملكوت الله، ويتبيّن لنا ذلك من الآية التي تسبق المَثَل: «فلمّا سَمِعَ ذلك واحدٌ من المتَّكِئينَ قال له طوبى لِمن يأكُلُ خُبزاً في ملكوتِ اللهِ» (لو ١٤: ١٥). فقد أراد الربّ يسوع أن يشرح لسامعيه شروط هذه المشاركة. يظهر من خلال المَثَل وكأن الدعوة كانت مقتصرة على جماعة ربّ البيت من معارفه أو أقاربه أو أصدقائه. ولكن عندما حانت ساعة العشاء ابتدأ المدعوّون بالاعتذار، والأسباب في هذه الحالة غير مقنعة. فمن المفترض أنّ المدعوين يعلمون مسبقاً بموعد العشاء ومن غير اللائق أن يمتنعوا عن الحضور لأنّ العشاء أُعِدَّ. إنّ ردّة فعل صاحب الدعوة عندئذ كانت عنيفة إذ قرّر أن يدعو جميع الناس، بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي وبغض النظر عن علاقتهم بربّ البيت، باستثناء المدعوّين أصلاً «لأنّي أقولُ لكم إنَّه ليس واحِدٌ من أولئِكَ الرجالِ المدعوينَ يذوقُ عشائي» (١٤: ٢٤).

ملكوت الله عند الإنجيلي لوقا مرتبط بالربّ يسوع المسيح نفسه، كما أنّ نسب الربّ يسوع في إنجيل لوقا يعود إلى آدم، وهو بذلك يؤكّد أن عمل الله الخلاصي بتجسّد الربّ

العدد ٢٠٠٨/٥٠
الأحد ١٤ كانون الأول
أحد الأجداد
تذكار القديسين الشهداء تيرسُس ولفكيوس وكلينيكُس وفيليمُن وأبلونيوس، وأريانيوس ورفقته
اللحن الأول
إنجيل السَحَر الرابع

ولا يـهـوديٌّ لا خِتـانٌ ولا قَلَفٌ لا بَربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بلِ المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦–٢٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعـا كـثيريـن* فـأرسـل عـبـدَهُ في سـاعـة الـعـشـاءِ يـقـول لـلـمَدْعوّين تـعـالـوا فـإنَّ كـلَّ شـيءٍ قـد أُعِـدَّ* فطفِقَ كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَسْتَعْفون. فقال له الأولُ قد اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قدِ اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنـا مـاضٍ لأُجَـرِّبَـهـا فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخـرُ قـد تـزوَّجتُ امـرأةً فـلـذلك لا أسـتـطـيـعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ الـبـيتِ وقـال لـعـبدِهِ أخـرُجْ سـريـعـاً إلى شوارعِ المديـنـةِ وأزقَّـتِـهـا وأدخِلِ المـسـاكـيـنَ والـجُـدْعَ والـعـمـيـان والـعُـرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قـد قُـضِـيَ مـا أمـرتَ بـه

يسـوع ومـوتـه وقـيـامـتـه يشمـل الخليـقـة كلّهـا ولا يـقـتصر عـلى جـمـاعـة معيّـنـة، كمـا كـان اليـهـود يـعـتـقدون. ففي مَثَل الـعـشاء يمثّل المدعـوون أصـلاً الـيـهـودَ الـذيـن لم يقبلوا الدعوة إلـى الملكـوت، لأنّهم كانوا مهتمين بـأنفسهم. إلاّ أن هذا المَثَل ينطبق علينا نحن المسيحيين المدعـوين أيضـاً إلى المشـاركـة في ملـكوت الـلـه، والذين نـعتبر أنفسنا شعب الله المختار. فإذا لم نلبِ دعوة الربّ لنا لن نشاركه عشاءه.

تؤكّد لنا الكنيسة المقدّسة على ذلك في المقطع من الرسالة إلى أهل كولوسي الذي نقرأه أيضاً في هذا الأحد. فساعة العشاء هي حين يظهر لنا المسيح، ونحن إذا لبّينا الدعوة نشترك في مجده: «متى ظهرَ المسيحُ الـذي هـو حـيـاتُـنـا فـأنـتـم أيضـاً تَـظـهـرون حـيـنـئـذٍ مـعـه في المجد» (كولوسي ٣: ٤). ولكي نستطيع أن نشارك في العشاء علينا أن نضع الـربّ يسـوع نُـصب أعـيُـنـنـا، وأن لا نهتم بما قد يعيق لقاءنا معه، أي أن لا نـهـتـم بـأنـفـسـنـا سـالـكين وفـق شهـواتـنـا: «فـإن كـنـتـم قـد قُـمـتم مـعَ المسـيـحِ فـاطـلُـبـوا مـا فـوق حـيثُ المسيحُ جالِسٌ عن يمينِ الله. اهتمُّوا بما فوق لا بما على الأرض، لأنَّكم قد مُتُّم وحياتُكم مُستَترَةٌ مع المسيحِ في اللـه... فـأميتوا أعضـاءكم الـتي على الأرضِ» (كو ٣: ١–٣، ٥).

مع أنّ مشاركتنا على مائدة الربّ في ملكوته لا تكتمل إلاّ في اليوم الأخير عند مجيء الربّ الثاني، غير أنّ الربّ أعطانا أن نتذوّق منذ الآن، ونحن في هذه الدنيا، ملكوته، من خلال مشاركتنا في العشاء السرّي، في سرّ الإفخارستيّا، أي سرّ الشكر. وقد تجسّد الربّ إلهنا لهذه الغاية، كما رسم لنا الطريق التي علينا أن نسلكـهـا لـنصل إلـيـه فنشترك في ملكوته الآتي. لذلك علينا أن ننتظر مجيئه منذ الآن، من خلال عيشنا وفق ما يرضيه، أي أن نطلب ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الـلـه، أي أن نسـلـك في وصـايـاه تـاركين شـهـواتـنـا الأرضـيّـة الـتي تعيقنا وتكبّلنا بهذه الأرض، نحن الذين متنا مع المسيح في المعموديّة لنقوم معه يوم مجيئه الثاني.

هذا ما تدعونا إليه الكنيسة المقـدّسـة مـع اقترابـنـا مـن عـيـد مـيـلاد ربّـنـا يسوع المسيح، داعيةً إيّـانـا إلى الـتشبّـه بـجـمـيـع الـذين تـذكـرهـم في هـذا الـيـوم من أجداد المسـيـح، الـذيـن سلكوا بما يرضي الله، وبـهذا صـاروا أهلاً للمشاركة في عشـاء الـربّ في ملكوته، لأنّـهم لـبّـوا الـدعـوة، دعـوة الـربّ، وهـم بتجسّد الرب يتذوّقون معنا منذ الآن مـلـكـوتـه الآتـي. كمـا أنـهـا تدعونـا لإكرامهم وللتمسُّك بأقوال الأنبياء الذين بشّروا بتجسّد الرب: «هلمُّوا بنا جميعاً لنحتفل بالتذكار السنوي، تـذكـار الآبـاء الـذين قبل الشريعة: إبرهيم والذين معه، ونكرّم بواجب سِبْطَ يهوذا، ونمدح الفتية الذين في بـابـل، الـذيـن أخـمـدوا الـلـهـيب في الأتـون بما أنـهـم رسـمٌ لـلـثـالـوث، ومعهم دانيال. وإذ نتمسك باحتراز بسـابـقِ أقـوال الأنـبـيـاء، فـلـنـهـتف بصوتٍ عظيم مع أشعيا قائلين: ها البـتـول تحبل في الحشا وتلد ابـنـاً، عمانوئيل، الذي تأويله الله معنا» (من صلاة السَحَر).

ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد اخرُج إلى الطُّرقِ والأسْيِجَةِ واضطَّرِرْهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّه لا يذوقُ عشائي أحد من أولئك الرجال المدعوين. لأن المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

قُل لي، إن دعاك الملك إلى القصور ووضعك لتجلس بالقرب من عرشه وتكلّم معك بتكريمٍ أمام الحاشية كلّها واستبقاك إلى مائدته لكي تتذوّق المآكل الملوكية، أما كنتَ ستعتبر نفسك أنك أوفر الناس حظًّا؟ لنتكلّم الآن على صعودك إلى السماء وجلوسك إلى جانب ملك الكون ولمعانك كالملائكة واشتراكك في المجد الإلهي الذي لا يمكن الإقتراب منه، أتتردّد في احتقار الأموال، ألا يجب أن تطير فرحاً حتى ولو ضحّيتَ بحياتك في سبيل هذا الهدف؟ أنتَ، لكي تترقّى

رسالة يعقوب:
الحكمة الحقيقية

بعد ان شرح يعقوب ارتباط الإيمان بالأعمال وبيَّن ان الأعمال الصالحة هي الدليل القاطع على إيمان الإنسان الحقيقي، وان المتديّن هو مَن يلجم لسانه فيبارك ولا يلعن، ينتقل للحديث عن الحكمة الحقة والأعمال. فكما ان الأعمال الصالحة هي دليل إيمان أصيل هكذا أيضاً الأعمال الصالحة هي دليل حكمة حقيقية سماوية من فوق: «مَن هو حكيمٌ وعالِمٌ فليُرِ أعمالَهُ بالتَّصَرُّفِ الحَسَنِ في وداعةِ الحِكمةِ» (يع ٣: ١٣).

يتوجه يعقوب إلى كل مسيحي يظن نفسه حكيماً فيدعوه إلى سلوك يتوافق مع ظنّه. فالحكيم هو الذي يسير في خطى المسيح ويعمل بوصاياه، وهو الذي يكون متواضعاً مثله، وحكيماً ووديعاً، فينال البركات. «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (متى ٥:٥). لذا نراه يطلب من سامعيه أن يظهروا وداعة في تصرفاتهم. الحكيم بحسب يعقوب هو صاحب السلوك المثالي الذي يعكس محبَّة الله الذي تنازل إلى أقصى درجات التواضع لأجل البشر. إذاً، الحكمة الحقيقية لا تظهر بكثرة المعرفة الذهنية أو المعلومات الدينية، بل بالتصرُّف الحسن بوداعة بلا كبرياء ولا عجرفة. هذه هي الحكمة الملهَمَة من الله.

لكن الرسول يعقوب وقبل أن يعرض لميزات «الحكمة التي من فوق»، يحذر سامعيه من الوقوع في فخ الحكمة الكاذبة التي لا تحمل في طياتها إلا الشر والانقسام والخصومات والكذب على الحق: «ولكن إن كان لكم غَيْرَةٌ مُرَّةٌ وتَحَزُّبٌ في قُلوبكم فلا تفتَخِروا وتكذِبوا على الحقِّ. ليست هذه الحكمةُ نازِلَةً من فوقٍ بل هي أرضيَّةٌ نَفْسانيَّةٌ شَيطانيَّةٌ، لأنَّه حيث الغَيْرَةُ والتَّحزُّبُ هناك التشويشُ وكلُّ أمرٍ رديءٍ» (يع ٣: ١٤-١٦). حيث تكون الغيرة التي تحمل العداء للآخرين، وحيث التحزُّب الذي يحمل بذار الشقاق، تكون الحكمة زائفة. فالحسد والكبرياء والإفتخار بالذات وروح المنازعة تعارض روح الله، وكل ما يعارض المحبة يعارض الحكمة الحقيقية، لا بل هو كذب على الحق. الحكمة الزائفة لا تحمل في طياتها إلاَّ الشر. لذا بالنسبة ليعقوب مثل هذه التصرفات لا تدل على حكمة ملهمة من فوق بل هي «أرضية نفسانية شيطانية».

أرضية بمعنى أنها نابعة من محبَّة للعالم، قلب صاحبها متعلّق بالأرضيات لا بالسماويات. قد يكون لصاحبها غيرة على الحق، لكن غيرته نابعة من حب المادة والسلطة، أو حب الكرامة والمدح من الناس. لذا هي أيضاً نفسانية أي يُمركز فيها الإنسان خدمته حول أناه فيختفي الرب ليظهر هو. الحكمة التي تدخل صاحبها في الكبرياء لا بد أن يكون باعثها الشيطان. ألم يُسقط الشرير آدم الأول عبر خطيئة التكبُّر على

إلى منصبٍ مؤقّت أرضي تتباهى به أمام الناس، تستعمل كلّ وسيلة مقبولة أو مرفوضة، والآن حيث يوجد أمامك ملكوت السموات الأبدي، الذي لا يمكن لشيء أن يُلغيه، لا تهتم وتجلس فاغراً فمك أمام الأموال؟

ويحنا كم إننا عديمو الإحساس! تنتظرنا مثل هذه الخيرات، ونحن ملتصقون بالأرضيات! لا نُدرك خداع الشيطان الذي يُعطينا الأشياء الصغيرة ويأخذ منا الأشياء الكبيرة، يقدّم لنا الوحل ويسلبنا السماء، ويجرّنا إلى الظلّ ويُبعدنا عن النور، ويشدّنا إلى الخداع ويحرمنا الحقيقة، ويخدعنا بالأحلام – لأن الثراء وهم هذا العالم – وعندما تأتي ساعة موتنا يجعلنا أكثر فقراً من الفقراء، لأنه عندئذٍ لا يأخذ الإنسان معه شيئاً سوى فضيلته وأعماله الصالحة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الله. لذا يسميها يعقوب حكمة شيطانية لأن هدفها الأخير هو التشويش والفوضى والمنازعة بين الناس، وهذا هو الشر بحد ذاته.

«وأمَّا الحِكمةُ التي من فوقٍ فهي أولاً طاهِرةٌ ثم مُسالِمةٌ مُترَفِقَةٌ مُذْعِنةٌ مملوءةٌ رحمةً وأثماراً صالحةً عديمة الريبِ والرِّياءِ. وثَمَرُ البِرِّ يُزْرَعُ في السلامِ من الذينَ يفعلونَ السلامَ» (يع ٣: ١٧–١٨). كلام الرسول يعقوب يذكّرنا بكلام الرسول بولس عن المحبة: «المحبَّةُ تتأنَّى وتَرْفُقُ. المحبَّةُ لا تحسدُ. المحبَّةُ لا تتفاخرُ ولا تنتفِخُ ولا تُقَبِّحُ ولا تطلُبُ ما لِنفسها ولا تحتَدُّ ولا تظُنُّ السوءَ ولا تفرَحُ بالإثمِ بل تفرَحُ بالحقِّ وتحتمِلُ كلَّ شيءٍ وتُصدِّقُ كلَّ شيءٍ وترجو كلَّ شيءٍ وتصبِرُ على كلِّ شيءٍ» (١ كور ١٣: ٤–٧). هذه هي صفات المسيحي الحق التي يسعى أن يحيا على صورة معلّمه وربه يسوع. انها الحكمة التي تُعطى «من فوق»، التي تسعى أن تتمم إرادة الله المُحِبَّة. هي حكمة تنبثق من الله وتخدم مقاصده في العالم.

لم يذكر يعقوب طبيعة الحكمة النازلة من فوق بل عدّد مزاياها. هي طاهرة نقية بلا هدف ملتوٍ، بعيدة عن كل انحراف أخلاقي ومتوافقة مع قداسة الله. هي حكمة مسالمة تسعى لأن يكون الإنسان في سلام مع الله ومع الذات ومع الآخرين. وإذ يمتلئ قلب الإنسان بالسلام تجاه الآخرين فإنه يترفق بالكل مهما كانت الأخطاء والضعفات، واضعاً نصب عينيه كيف يربح الجميع بالمسيح. هذا يتطلَّب صبراً وهدوءاً ووداعة وإذعاناً لوصايا الرب لكي نكون من عائلة يسوع: «مَن يصنَعُ مشيئةَ أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» (متى ١٢:٥٠). إرادة الآب والرب يسوع هي أن نكون رحماء كما ان الآب السماوي رحيم (لو ٦: ٣٦)، ونصنع أثماراً وأعمالاً صالحة ونحب الآخرين ونترك لله القضاء والمجازاة. الحكمة الحقيقية لا تعرف الرياء، أي المحاباة التي تحدثنا عنها سابقاً. الحكمة الحقيقية تعيش في الصدق ولا تعرف الخبث والكذب ولا تحكم على الآخرين.

ثمار هذه الحكمة هي السلام، لذا فإن الحكماء الحقيقيون هم الذين يسعون لإحلال السلام بين أبناء الكنيسة جميعهم ولا يزرعون بين المؤمنين الشقاق والتحزُّب والمنازعات. و«طوبى لصانعي السلامِ لأنَّهم أبناءَ اللهِ يُدْعَون» (متى ٥:٩).

لقاء ميلادي

في إطار الاستعداد الروحي والكنسي لعيد الميلاد المجيد، تدعو رهبنة ورعيّة القديسة كاترينا – دير زهرة الاحسان – إلى مشاركتها اللقاء التأملي الإنجيلي الذي تنظّمه مع قدس الارشمندريت أفرام كرياكوس وذلك يوم الأحد الواقع فيه ٢١ كانون الأول ٢٠٠٨ الساعة الخامسة مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb